

## الوافي في الوفيات

ولم تُضَيِّقْ بذاك صَدْرِي ... لأنَّ لي أسوةٌ الصَّاحِبَةَ .

وقد قيل في ابن سناء الملك ايضاً : .

أَبْغَضْتَ كُلَّـَ أَبِي بَكْرٍ وَمَا ... تَرَبَّتْ إِلَّا يَدَاكَ بَذَا حَتَّى ابْنِ أَيُّوبَ .

ولما نظم ابن سناء الملك قصيدتهُ التي امتدح بها تورانشاه أخا صلاح الدين وأولها : .

تَقْنَعْتُ لَكِنَّ بِالْحَبِيبِ الْمَعْمَمِ ... وَفَارَقْتُ لَكِنَّ كُلَّـَ عَيْشٍ مُذَمَّمِ .

تعصَّب عليه شعراء الديار المصرية وهجَّونوا هذا الافتتاح وكتب إليه الوجيه ابن الذرروي

: .

قل للسعيد مقالَ من هو مُعْجَبٌ ... مِنْهُ بِكُلِّ بَدِيعَةٍ مَا أَعْجَبَا .

لقصيدك الفضلُ المُبِينُ وَإِنَّمَا ... شِعْرَاؤُنَا جَهَلُوا بِهِ الْمُسْتَعْرَبَا .

عابوا التقنُّعَ بِالْحَبِيبِ وَلَوْ رَأَى الطُّ ... أَيُّ مَا قَدْ كُتِبَتْهُ لَتَعَصَّبَا .

فقال ابن المنجِّم : .

ذَرَوِيَّ نَا قَتَلْتَهُ قَلِيلَةٌ عَقْلِيهِ ... فِي نَصْرِ بَيْتِ شَائِعٍ عَنِ ضِفْدَعِ .

شيءٌ مِنْ الشَّعْرِ الرِّكِيكَ رَوَيْتَهُ ... لِمَخْنَثَيْنِ مَعْمَمِ وَمَقْنَعِ .

قلت : لقد تحامل عليه من هجَّنه وتعذَّتَ من قبَّحهُ ولكن هذا من الحسد الذي جُبِلَت

عليه الطَّبِيعَةُ الرَّدِيئَةُ لِأَنَّهُ قَالَ : " تَقْنَعْتُ " مِنْ الْقِنَاعَةِ وَرَشَّحَهُ بِالْمَعْمَمِ فَصَارَ مِنْ

التقنُّعِ بِالْقِنَاعِ وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ " الْحَبِيبِ الْمَعْمَمِ " إِلَى قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ : .

وَلَوْ أَنَّ مَا بِي مِنْ حَبِيبٍ مَقْنَعٍ ... عَذَرْتُ وَلَكِنَّ مِنْ حَبِيبٍ مَعْمَمِ .

وكذلك تَعَذَّتَ شَرَفُ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ جُبَارَةَ عَلَى ابْنِ سِينَاءِ الْمَلِكِ وَعَلَّقَ عَلَى شِعْرِهِ مَجْلِدَةً

سَمَّاهَا " نَظْمُ الدَّرِّ " فِي نَقْدِ الشَّعْرِ " وَوَاخَذَهُ فِي أَشْيَاءَ مَا أَطْنَبَهُ كَانَ لَهُ ذَوْقٌ يَفْهَمُ بِهَا

مَقَاصِدَ ابْنِ سِينَاءِ الْمَلِكِ . وَمِنْ تَرْسُلِهِ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَى الْقَاضِي الْفَاضِلِ يَشْكُو مِنْ رَمْدٍ أَصَابَهُ

كَتَبَ ا لِمَوْلَانَا عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ وَعَلَى عَدُوِّهِ الذِّقْمَةَ وَأَتَاهُ الْخَطَابُ وَالْحِكْمَةُ وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ

كَمَا أُسْبِغُ بِهِ النِّعْمَةَ وَعَضَّدَ بِآزَائِهِ الدَّوْلَةَ وَبِبَقَائِهِ الْمَلَأَةَ وَاعَزَّ بِسُلْطَانِهِ الْأُمَّةَ وَأَدَامَ

ا أَيَّامَهُ حَتَّى تَطِيرَ مِنْ آفَاقِهِ النِّعَائِمُ وَحَتَّى تَخْلَعَ أَطْوَاقَهَا الْحَمَائِمُ وَحَتَّى تَنْزَلَ مِنْ

مَنَازِلِهَا النُّجُومُ الْعَوَاتِمُ وَحَتَّى تَسْقُطَ مِنْ كَفِّ الثَّرِيَّا الْخَوَاتِمُ .

وحتى يؤوبَ القارطان كلاهما ... وَيُنْشَرَّ فِي الْقَتْلَى كُلِّيبُ لَوَائِلِ .

خَدَمَتْهُ بَعْدَ أَنْ حَمَلَتْ عَيْنَهُ فِي قَبْضَةِ الرَّمْدِ وَبَعْدَ أَنْ قَسَا قَلْبُهُ وَطَالَ عَلَيْهِ الْأَمْدُ وَبَعْدَ

أَنْ تَعَاقَبَتْ فِيهَا الدَّمَعَتَانِ دَمْعَةٌ الْأَلْمُ وَدَمْعَةُ الْكَمَدِ وَبَعْدَ أَنْ أُحِجَّتْ عَلَيْهَا نَارُ ا

المؤمّدة وأصبحت منها في عمدٍ ممدّدةً وبعد أن سخّر اﻻ علىها الآلام سبع ليالٍ  
وثمانية أيّامٍ وكأنها وابلٍ سبع سنين وثمانية أعوام وبعد أن فصّدت في أسبوع واحد  
دفتين وشرب المسهل ثلاث مرّات وكاد لأجل السجّة يكذب ويقول مرّتين وبعد أن ملأ  
الدار صُراخاً وأقلق الجار صياحاً وبعد أن كلمه العمى شفاها وخاطبه صُراحاً وبعد أم  
مرّت بعينه العبرات والعبر وبعد أن قذفت من القذّي برمادٍ ورمّت من الدموع بشرّ  
وبعد أن استشفى بتراب الرّبع الذي قال فيه الشاعر :

وربع الذي أهواه يروي شرابه ال ... عطاشٍ ويشفي تُربّه الأعيُن الرمدا .  
فضحك رمّده من هذا الشاعر الكاذب وسخر منه باللحية والشارب وأما الشاعر فلو أبصره  
ما أبصره بصر المملوك لما قال :

يا شعرٌ في بصرِي ولا في خدّه ... هذا السوادُ فداء أحمر ودّه .  
ولكان يسأل اﻻ أن يقيّ سواد عينه بأن يُنبِت في خدّ معشوقه شوك القنا فضلاً عن شوك  
الورد وأن يُطلع كل نباتٍ في كتاب أبي حنيفة على ذلك الخدّ ولو علم جميل بن مَعمرٍ  
مقادير أذّي القذّي لما دعا على محبوبته في قوله :

رمى اﻻ في عيني بثينةً بالقذّي ... وفي الغرّ من أنيابها بالقوادح .  
وأما القائل :

ترايهم وحقّ أبي تُرابٍ ... أعزّ عليّ من عيني اليمين .  
فخصمه على كذبه من أقسم به في هذا الشعر ولكنّهم جهلوا ما لم يحيطوا بعلمه وتكلّم  
كل شاعرٍ منهم وطرفه مخلصٌ من يد سُقمه وواﻻ لقد ناحت المملوك وهو في شدّة المَرَض  
وساوسه وخاطبته هواجسه وقالت له : لعلاك عوقبت بما كنت تدّ عليه وتكذب فيه على عينك  
في شعرك ولا سيّما في قولك :